مناهج النقد الأدبي الحديث- رؤية إسلامية

المؤلف: د. وليد قصاب
عرض: أشرف صلاح المهداوي

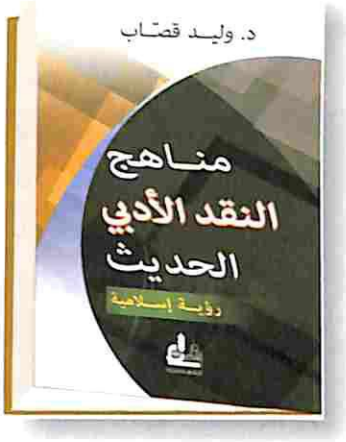

من الكتب الحديثة التي عنيت بإيضاح مناهج النقد الحديث وبيان خلفياتها ومنطلقاتها العقدية والفكرية، وذكر إيجابياتها وسلبياتها- كتاب «مناهج النقد الأدبي الحديث- رؤية إسلامية».

يقع الكتاب في ثلاثة أبواب: يتحدث الأول منها عن عدد من المناهج النقدية التقليدية: وهي المنهج التاريخي، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي. ويتحدث الباب الثاني عن «المناهج النقدية الحداثية»: فيسلط الضوء على الشكلانية، والبنيوية. فيما يركز الباب الثالث على «نقد ما بعد الحداثة»: فيتحدث عن التفكيكية، ونظرية التلقي.

وقد مهد الكاتب بحديث عن ظهور المناهج النقدية وتطورها وارتباطها بخلفيات إيديولوجية.

وفي المقدمة تحدث الكاتب عن أزمة النقد الحديث، وعبثية بعضه، وجموح بعضه الآخر، ويقرر أن النقد العربي الحديث قد ورث عن النقد الغربي آفاته.

ويكشف عن منهجه فيقول: إن هذا « الكتاب عرض وتحليل وتقويم لهذه المناهج النقدية الغربية، وهو تقويم في ضوء التصور الإسلامي الرحب المعتدل عن الكون والإنسان والحياة والفن».

كما يقرر أنه حاول «عرض هذه المناهج النقدية الحداثية وما بعد الحداثية بلغة بسيطة مأنوسة: ستسوء -كما قال الدكتور حمودة- كثيرين من أتباع هذا النقد، ولكني - والحديث للمؤلف- أحسبها ستسر طالب العلم الباحث عن معلومة واضحة لا أمت فيها ولا اعوجاج».

وأرى أن المؤلف قد طبق منهجه على نحو ممتاز في الجملة: فهو يعرف كل منهج غالبا في البداية، ثم يتحدث عن منطلقاته وملامحه، ثم يقوم بنقده نقدا علميا موضوعيا: يقف على أبرز إيجابياته وسلبياته- مستشهدا في كل ذلك بنقول كثيرة من أعلام تلك المناهج ومن شراحها ومعارضيها، كما تلمس حضور شخصيته العلمية الموضوعية في كل صفحات الكتاب، مع حسن تسلسل في العرض، وجودة ترتيب للأفكار، وحسن توضيح وتعبير عن المعاني.

مميزات الكتاب:

يلاحظ القارئ أن هذا الكتاب يتميز بمميزات: منها:

أولا: أهمية موضوعه: فعرض مناهج النقد الحديث، والكشف عن خلفياتها الفكرية، وبيان إيجابياتها وسلبياتها من منطلق إسلامي أمر في غاية الأهمية، وخصوصا مع كثرة مجالات الاتصال الثقافي بمختلف الدول حول العالم: من خلال كثرة الترجمة، وثورة أجهزة الإعلام والإنترنت وسهولة السفر...

ثانيا: يسد الكتاب فراغا هاما في المكتبة العربية: فقد كثرت الكتب النقدية العربية التي تدور في فلك بعض المناهج النقدية الغربية، أو تعرض أكثر من منهج عرضا سطحيا لا ينفذ إلى الخلفيات العقدية والفكرية لها، أو تنقد المناهج من بعض الجوانب ولكن بأسلوب صعب موجز... فجاء هذا الكتاب متلافيا كثيرا من تلك السلبيات، ملبيا لحاجة المهتمين بالمناهج النقدية.

ثالثا: التصنيف الموضوعي، وتفصيل أجزاء الموضوعات في عناوين واضحة وعناصر متسلسلة: فترى المؤلف عند حديثه عن منهج ما يبدأ بالتعريف به، والحديث عن نشأته، وملامحه، ثم يتحدث عن إيجابياته، وعن سلبياته- وذلك تحت عناوين جزئية منفصلة غالبا، ثم ترى تحت كل عنوان ترتيبا للأفكار إما ضمن

أرقام، أو ضمن فروع تبتدئ بـ: أولا، ثم ثانيا، ثم ثالثا...وهكذا. ومن شأن هذه الطريقة أن تريح القارئ وتسهل عليه الوصول إلى ما يريد، وإدراك كافة الجوانب التي أراد المؤلف أن يذكرها بيسر، وخصوصا في عصر تزاحمت فيه الأعمال وكثرت الكتب والمقالات...

رابعا: سعة اطلاع المؤلف ووفرة مراجعه: يلاحظ القارئ كثرة استشهاد المؤلف بنصوص لنقاد ودارسين غربيين وعرب؛ سواء من مؤسسي المناهج النقدية المدروسة أو من نقادها.

خامسا: القراءة النقدية الواعية والعميقة للمناهج، ولخلفياتها العقدية والفكرية، والقدرة على المحاكمة العلمية والعقلية الصحيحة: فترى الكاتب لا ينخدع بأسماء المناهج أو أسماء مؤسسيها، أو المميزات التي يدعيها المروجون لها ...بل يفصل الحديث عنها بهدوء وبعمق وبموضوعية من منطلق إسلامي، معللا لوسائله ولأحكامه.

يقول المؤلف ضمن حديث طويل له عن الملامح العامة للنقد الحداثي وما بعد الحداثي: إن النقد الحديث «يدعي الشكلانية والفنية، وأنهما معياره، ولكنه – مع ذلك- صادر عن إيديولوجيات فكرية وعقائد وتصورات. إن جميع المناهج – وهي تحارب الإيديولوجيا وتدعي أنها تتحرر منها، أو تسعى إلى ذلك سعيا حثيثا- ما هي في الحقيقة إلا ثمرة من ثمراتها، وهي خارجة من رحمها. فالنقد فكر، وكل فكر هو نتاج تصور عقدي معين، ورؤية فلسفية خاصة للأشياء» (ص)٨٢... ثم تراه يقدم تفصيلا لكل منهج على حدة، وتوضيحا لمنطلقاته وخلفياته العقدية والفكرية بمنهج علمي.

سادسا: النقد المنصف الواعي للمناهج النقدية: حيث يجمع المؤلف بين ذكر الإيجابيات والسلبيات لكل منهج: بروح عادلة واعية غير منحازة وغير مخدوعة.

سابعا: اللغة الصحيحة والأسلوب العلمي الواضح الشيق.

مآخذ وهنات:

يؤخذ على الكتاب- والكمال لله تعالى- ما يأتي:

أولا: عدم اطراد بعض المباحث الجزئية والإجراءات في كل المناهج: فقد التزم المؤلف ببيان ملامح كل منهج، وببيان الإيجابيات والسلبيات؛ ولكنه لم يلتزم دائما في كل المناهج بالأمور الآتية:

- تخصيص مبحث جزئي للتعريف بالمنهج؛ فلم يعرف تحت عنوان مستقل بالمنهج التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي؛ كما عمل في باقي المناهج؛ حيث نجد تحت كل واحد منها موضوعا مستقلا بعنوان «تعريف» أو « التعريف والنشأة».
- ذكر نماذج للنقد وفق كل منهج؛ فقد ذكر نماذج للنقد النفسي، ونموذجا للنقد البنيوي، ولكن هذا الإجراء لم يطرد في سائر المناهج.

ثانيا: عدم التوسع في توضيح العلاقة بين «التفكيكية» و«منهج التلقي»؛ وبيان الأمور التي يلتقيان فيها، والأمور التي يفترقان فيها، وهل هذه الفوارق محل اتفاق بين التفكيكيين وأصحاب نظرية التلقي، أو بين أكثرهم على الأقل.

ثالثا: وددت لو وضح المؤلف المناهج التي تندرج تحت نظريات التلقي، والفوارق الكبرى بينها.

رابعا: وردت في إحدى النقول التي استشهد بها المؤلف كلمة لا تليق بالله تعالى، وأرى أنه كان يسع المؤلف حذفها، أو التعليق عليها؛ وهي قول فرجينيا وولف: «...وهناك شيء دخيل في عبقرية كونراد لم تجعل منه ذا فاعلية، كما جعلته معبودا مبجلا ومحلا للإعجاب...» ص ٨٥.

كلمة أخيرة:

وبعد فالكتاب مهم جدا للمشتغلين بالأدب والنقد، ويسد فراغا مهما في المكتبة العربية..وأرى أن يوصى الطلاب والمهتمون باقتنائه، وأن يكتب عنه في وسائل الإعلام..كما أرى أن يعود إليه المؤلف بمزيد من التفصيل والإضافة والتعديل والتدقيق ليصبح موسوعة في مناهج النقد الحديث وتقويمها في ضوء الإسلام.

وصدر الكتاب في طبعته الأولى عن دار الفكر ببيروت ودمشق في سنة ١٤٢٨هـ، ويقع في ٢٤٠ صفحة ■